ISSN : 2353-046
EISSN : 2600-6421

نظريات التلقي عند ياوس و إيزر.
رو اية "ضياع في عرض البحر" لـ حفناوي زاغز أنموذجا

د. عثماني عبد المالك
جامعة طاهري محمد - بشار
abdelmalek_otmani@yahoo.fr

الملخص:

يعالج هذا البحث المتواضع الفعل القرائي ، و يحاول الكشف عن أهمية و خطورة الفعل القرائي على النص على السواء،ذلك أن للنص وجود عائم و جلاء الغموض و استدعاء الحضور يعتمد بشكل عام على الكيفية التي يتناول بها القارئ هذا النص ، فهو يقوم أثناء القراءة بتفسير إشاراته و حل شفراته ، و لا شك أن هذا الاندماج بين الذات القارئة و تراكمات النص يعتمد على طبيعة هذا الأخير، و منه فإن القراءة الخاطئة تولد نصا خاطئا كما أن الحاصل هو أن الكثير من النصوص الأدبية يتحقق موتها على أيدي قراء لا يحسنون التعامل معا.

الكلمات المفتاحية: القراءة. النص. القارئ. الحضور. الغياب.

الملخص بالاجنبية ناقصوكذلك الكلمات المفاتيح

من المتعارف عليه أن عملية التواصل تعتمد أركانا ثلاثة و هي:الباث ، الرسالة و المتلقي ، و يقابلها في المجال الأدبي: الكاتب و النص و القارئ، فإذا كان الكاتب قد أخذ حظه في النقد الأدبي(جمالية التلقي): سيرة و سلوكا ، فإن العناية بالنص لن تكون صعبة المنال.

إن القراءة عنصر هام في إنجاح عملية التواصل ، كيف لا و أن أول ما أوصى به القرآن الكريم النبي محمد (صلى الله عليه و سلم) آمرا هو فعل القراءة. قال عز من قائل: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** ﴾ (العلق:الآية الأولى) .و ما القراءة في الحقيقة إلا فك للرموز ليدرك القارئ معنى ما يقرأ ، و يميز بين هذا المعنى و ذاك ، و لا يتأتى له ذلك إلا بعد أن تصبح مرحلة فك الرموز آلية ، و الذهن مرنا بحيث يتمكن من اكتشاف المعنى الذي يقف وراء هذه الرموز التي يقرأها.

إن الفعل القرائي غذاء عقلي و نفسي لكل متلهف لكشف أغوار النص الأدبي ، فهي تساعد على تنمية الفكر ، و تكوين الاتجاهات ، و الميول نحو الأشياء و الموضوعات ، كما أنها تساعد في الوقت نفسه على بناء الشخصية و ظهورها بين أفراد المجتمع بمظهر متميز فكريا و ثقافيا. كما أنها تعد إحدى الوسائل الهامة في عملية التواصل بين المجتمعات بعضها ببعض فتعمد إلى اختزال المسافات ، بحيث ترفع من المستوى الثقافي للأفراد في المجتمع الواحد ، و هي وسيلة لربط الناس بعضهم ببعض ، و هي تعمل في الوقت نفسه على تنظيم أفكار المجتمع ، و تقاربها رغم اختلاف مشاربها و اتجاهاته. يقول عبد السلام المسدي: «إن مفهوم القراءة.. تتولد منه حقول دلالية متفاوتة تبدأ من أبسط عملية النقد سواء في الاستمتاع و التذوق ، أو في الموازنة و التثمين ، و ترتقي إلى صيغ التجريد في المبادئ و الأحكام و بينهما مراتب متباينة ، تبدأ من أيسر السبل بالنقل و الترجمة ، و تنتهي إلى استقراء المتوارث و بعثه بمجهر الفكر الحديث...»1.

أنواع القراءة:

القراءة أنواع كثيرة منها:

1. القراءة الشارحة
2. القراءة الاسقاطية
3. القراءة الشاعرية

أولا: القراءة الشارحة:

و هي تحرص على البقاء داخل حدود النص ، و من أهدافها توضيح الغامض ، و تبسيط المفهوم للقارئ ، و قد مارسها العديد من العلماء منذ القدم ، و كان لها فوائد جمة على الكثير من العلوم و المعارف الإنسانية ، و هي بذلك تميل إلى العملية التعليمية ، و تبتعد تماما عن الأدبية ، و إن ادعى أصحابها بذلك.

إن قراءة الشرح لا تولد نصا أخر بقدر ما أنها تعمل على توليد نفس النص مشروحا بكلمات بديلة لا أكثر و لا أقل ، كما أنها لا تتحقق عنها الوظيفة الجمالية للنص ، و هذا هو الغرض المنشود من القراءة الأدبية.

ثانيا: القراءة الإسقاطية:

و هي تجعل من النص مساحة لإلقاء ما في النفس البشرية القارئة من أمراض نفسية ، و عقد و أوهام ، غير أن هذا النوع من القراءة قد انحرف به أصحابه عن غاية الأدب انحرافا شديدا ؛ إذ أصبحت العملية الإبداعية سوى عيادة نفسية و مساحة لنقل الأمراض و العقد .

ثالثا: القراءة الشاعرية:

أما هذا النوع من القراءة ، فهو الذي يغوص إلى أعماق بنى النصوص للكشف عن أسرارها ، و إبراز جمالية انبعاثها من الداخل(حسب تجليها في السياق اللغوي) ، و هذه القراءة هي المنشودة من كل فعل قرائي. و في هذا الشأن يقول "**عبد الله الغذامي**": «إن للشاعرية وظيفة جمالية تتجلى في الإبداع من حيث أنها العمل الإبداعي ، و تتجلى في القراءة من حيث أنها وظيفة قرائية متطورة تسعى إلى تفكيك النص إلى عناصر داخلية من أجل إعادة تركيبها لندرك بذلك وظائف العلاقات بين العناصر مما يكون أخيرا كلا بنيويا نموذجيا للعمل المقرر...»2

القراءة بين التذوق و العلمية:

من المعلوم أن القراءة الأدبية هي قراءة تذوقية انطباعية بالدرجة الأولى ، فالقارئ المدرب على القراءة باستطاعته إصدار الحكم على جمال النص الأدبي أو قبحه ؛ إذ لا يمكن أن يكون الجميل في تقبلنا له إلا جميلا ، و يأتي دور المنهج النقدي بما يمتلكه من ميكانزمات للكشف عن مواطن هذا الجمال ، و تحليل ما تم تذوقه ، و هذا أحد مرتكزات التوازن الانعكاسي للبنيوي الأمريكي ، و الذي قال بأن أحكام النقد ما هي إلا انعكاس تتوازن به هذه الأحكام مع انطباعات الذوق السليم.3و يبقى تأكيد ذلك الجمال بالدور الذي تلعبه الشاعرية في البرهنة على تحقق الجمالية ، و قد تحدث عن ذلك المسدي حين ذكر الذوق أولا ثم الفحص النقدي ثانيا لتبيان حكم لذوق و البرهنة عليه علميا بالكشف عن العناصر التي حققت ذلك الجمال.

دور القارئ في العملية القرائية:

النص مجموعة من الدوال ، تستدعي مدلولات غير محددة داخل الصياغة اللغوية لأي إبداع أدبي حقيقي و رفيع ، و المبدع إذ يضع النص الأدبي بين أيدي القارئ ، فإنه يأمل منه كشف أعماقه ، و كشف أسراره ، و حل شفراته ، ليأتي دور القارئ ليحتضن هذا الإبداع ليحاول الربط بين تلك الدوال العائمة و المدلولات الغائبة ، و هنا يحصل التفاوت بين القراء ؛ ذلك أن لكل قارئ مكتسباته و قدراته المعرفية التي اكتسبها و تزود بها من خلال المطالعة و المدارسة و المثابرة على القراءة في الإبداعات الأدبية لعظيمة ، و تتولد بذلك نصوص أخرى من النص الأول. و في هذا الشأن يقول "الغذامي": «...و لذا يتحول النص الواحد إلى آلاف (أو ملايين) النصوص حسب عدد قرائه على مر الزمن. و بمقدار ما تستطيع إشارة النص على الإنعتاق من قيد المعنى المحدد تكون طاقاتها على الإبداع و على التنوع.و لكن حسب أبنيتها الكلية داخل أعراف جنسها و سياقاتها.و هذا يوضح لنا أهمية القارئ في العملية الأدبية ، و من ثم يتحول القارئ من مستهلك إلى منتج له كما هي عند بارت...».4

نظريات القراءة:

مازالت نظريات القراءة إلى الآن لم تكتمل بعد ، كما أنها تسير في في طريق أن تستقل بذاتها كما حدث لغيرها من النظريات ، و بالرغم من التفاتها إلى أهم الشركاء في العملية الإبداعية ، و هو القارئ إلا أنها تهمل شركاء أخرين لهم اليد الطولى في ميلاد النص الأدبي ، و نقصد هنا:المبدع المجتمع...

إن فعل القراءة فعل غريزي عند الإنسان منذ القدم ن و له ارتباط وثيق بعلوم كثيرة منها علم الجمال و علم النفس ، و علم الاجتماع..

إن استهلاك أي نص لا يمكن أن يتحقق بعيدا عن هذه القاعدة الأساسية ، ولعل العديد من العلماء قد ذهبوا إلى أبعد من ذلك من خلال حديثهم النص واستهلاكه اللذان كانا دائما متلازمين ، و غير منفصلين مهما حاولنا ذلك و خاصة عند عملية القراءة ، و ما مصطلح جمالية التلقي و مصطلحات أخرس استحدثتها الترجمة لم تكن معروفة بهذا الشكل إلا مؤخرا مع الألمانيان: "**ياوس**" و "**إيزر**".5

من المعلوم همشت المناهج النقدية القديمة و الحديثة القارئ (مستهلك النص) ، وكان اهتمامها منصبا على المبدع أو على النص و السياقات الخارجية التي لا شك أن لها إسهاماتها في ميلاد النص الأدبي.

لقد اكتسب فعل القراءة بعدا جماليا و قيمة حضارية في سياق الحضارة العربية خاصة بعد نزول القرآن الكريم مع أول دعوة إلى ممارسة الفعل القرائي كما أسلفنا الذكر ، و كان الاهتمام بعدها منصبا كليا على نص واحد و هو النص القرآني ، ثم شمل تفسير الأحاديث(الفقه) ، و لم يصل فعل القراءة في المجال الأدبي بعد في تلك الفترات إلى النضج و الارتقاء.

إن القراءة كممارسة كان حضورها قائم منذ القدم ، و لكن كفعل مؤصل له قواعده و ضوابطه لم يكن حاضرا فلم يكن حضوره جاريا إلا في شكل جمع للمعلومات ، فلم يكن يرقب المتعة و استنباط ما للنص من خصوصيات ، و المعلوم أن عنصري المتعة و الاستمتاع مهمان جدا في نظرية القراءة.

لقد أصبحت نظرية التلقي في النقد الأدبي الحديث المحور الذي تدور حوله معظم الاشتغالات النصية و نتج عن ذلك كم هائلا من الأسس النظرية التي تقف موقف التوصيف في مجمل التجربة المعاصرة في علم النص و الأسلوبية ، ثم إن نظرية التلقي قد تضامنت مع اتجاه ما بعد البنيوية في نبذ الشكل الواحد للمعنى ، و تفويض مبدأ الإيمان بالملفوظ اللساني كدليل وحيد ، أو كوسيط لبناء جمالية النص ، و محاورة نيته.6

ومنه فقد خطا منهج القراءة و جمالية التلقي خطوات أشد إيغالا ففي تشييد جمالية من نوع خاص استقلت أصولها من الفلسفة الظاهراتية التي تجعل من الذات مصدرا للفهم ، فصارت الذات المتلقية قادرة على إنتاج النص بواسطة فعل الفهم و الإدراك ، كما أن جمالية التلقي تهدف إلى دراسة ميكانزم التلقي عن طريق الاستفادة من مقولات الفلسفات الذاتية في الحقول الإجرائية الجيدة من أجل التأسيس لعلم النص ، هذا النص الذي يقاوم فكرة اختزان معنى ما بغض النظر عن كونه سطحيا أو عميقا ، لأنه في الحقيقة و في الأساس على التعددية في المعنى..7

لقد تنوعت الآراء حول جمالية التلقي ، و الوقع الجمالي الذي تخلفه في الذات القارئة ، و لكل وجهته في تحديد المفاهيم القائمة عليها ، فمثلا "ياوس" يهتم في صياغة نموذجه من خلال تطوير مصطلح "الأفق" إلى ما أسماه بـ "أفق التوقعات" أو "أفق الانتظار" و يربط بين عملية التلقي و أفق الانتظار ، و أن المتلقي إنما يعيد بناء توقعاته ، و من ثم يمكن قياس أكثر الأعمال و وقعها على أساس هذا الأفق الذي تم استخلاصه من هذه الأعمال.8

و أما "**فالفانج إيزر**" و هو زميل "**ياوس**" في جامعة "كونستانس" بإعادة صياغة النظرية الأدبية بغض النظر إلى كل من المؤلف و النص.
و يمكن التمييز بين منهج كل من "**ياوس**" و "**إيزر**" كما يأتي:

أولا: ياوس:

اهتم "ياوس" بتاريخية الأدب بعد أن كان مهملا لفترة طويلة من الزمن ، و اعتمد في المقابل على علم التفسير و قد أكد على أن دراسة الأدب لا تتم بمنأى عن تاريخيته ،فهي لا تنطوي على تراكم تدريجي للحقائق و الشواهد التي يقررها كل جيل من الأجيال المتعاقبة على المعرفة ، وحقيقة الأدب عنده تشخصه قفزات نوعية و مراحل من القطيعة و منطلقات جديدة..9

و الملاحظ في نظرية التلقي عند "ياوس" أن اهتمامه انصب حول تلك الموضوعات التي تحمل بين طياتها طابعا تاريخيا و اجتماعيا ، و ذلك في تأريخه للنظرية الجمالية..و هو ما لا يسع البحث لذكره بل يخرجه عن منحاه (التطبيق).

ثانيا: إيزر:

انصب اهتمام "**إيزر**" حول النص و علاقته بالذات القارئة ، و كان المنطلق السؤال: كيف ينشئ النص معنى لدى القارئ؟ و إستراتجيته تقوم على ثلاثة عناصر رأيناه كالأتي:

1 . النص: و ما يحمله من خصوصية فرض حضورها بالقوة ، فتدفع القارئ إلى ملء فراغاته أو ما بمصطلح أخر بياضاته.

2 . فحص عملية معالجة للنص في أثناء القراءة من خلال ما تنتجه من صور عقلية و هو ما يسمى بـ"عملية بناء الموضوع الجمالي.

3 . فحص شروط تفاعل النص مع القارئ و ذلك من خلال نظرية الاتصال و بنية النص الأدبي.

و يتفق كل من "ياوس" و "إيزر" في العموم و يختلفان في الخصوصيات ، و تنبني إستراتجية "إيزر" في كون أن هذه الأخيرة . ونقصد الإستراتجية . مجموعة من الإجراءات المقبولة تمثل كما من القواعد التي يجب أن تتوافق أو بعبارة أخرى تحقق العملية التواصلية بين المرسل و المرسل إليه(المتلقي) كي يحصل التواصل الناجح و ذلك من خلا ما انبنى عليه النص الأدبي من اتساق في ضوء العلاقة مع المحيط الاجتماعي و الثقافي ،

فالنص . حسب رأي إيزر . ينظم ضربا من الاستراتجية وظيفتها أن تصل بين عناصر السجل ، و تقيم العلاقة بين السياق المرجعي و المتلقي..10

ومنه فالنص عند إيزر يحمل جانبين:

1.الجانب الفني: و هو المتعلق بإنتاجية النص ، و يعنى بحضورها الكاتب أو الأديب.

2.الجانب الجمالي: و يتمثل المتحقق المنجز(أي أن يتحول النص المقروء إلى نص أخر).كم يركز إيزر في نظريته على مبدأ "الاختلاف" أي أن القارئ يبحث في النص عما لا يوجد فيه ، من أجل إكمال تجربته ، و هذا على عكس ياوس في عنصر ما أسماه بـ"أفق الانتظار.

كيف يتولد الوقع الجمالي لعملية القراءة؟

لم يعد فعل القراءة متخيلا و لا مأمولا أثناء عملية القراءة ؛ بل أصبح منشودا الآن ، و لهذا فقد استخدم مصطلح "الوقع الآن" ، و ذلك لأن فعل القراءة إنما يتحقق بمجر مباشرة القارئ في قراءة النص ، فيحس حينها في لحظت الاندماج مع النص بهذا الوقع الجمالي ، فيتحقق آنيا(المتعة ، الاستمتاع ، التذوق..)و لكن كيف ينشأ هذا الوقع؟ و ما هي العناصر أو الميكانزمات التي تتحكم في حدوثه؟

يشترط في حدوث الوقع الجمالي جملة من العناصر ، نذكرها على سبيل الذكر و لا الحصر كما يأتي:

أولا: زمن تحقق فعل القراءة أو لنقل الزمن الذي يؤطر عملية القراءة:

من المعلوم أن مباشرة القراءة ليست عشوائية ، كما أنها ليست لها قابلية في كل الأوقات ، و لذلك يحدث الانجذاب مع النص في أوقات محددة يتهيأ للقارئ فيها تذوق النص و الاندماج مع مكوناته.

ثانيا: مرجعية الذات القارئة:

و مما لا شك فيه أن للخلفية و المرجعية بشتى مشاربها التأثير الكبير في قبول الفعل القرائي أو رفضه ، لأن ليس كل ما يكتب قابل لقراءة الجميع ، فكل واحد منا ينتقي نصوصه بحسب تلاؤمها مع مرجعياتنا و خلفياتنا المختلفة.

ثالثا: استبعاد الأحكام المسبقة عن النص و صاحبه:

إن بناء أفكار مسبقة عن النص المقروء يؤثر سلبا في حدوث الوقع الجمالي ، و لذلك كان أن دعا كل من "ياوس" و "إيزر" إلى ضرورة التعامل مع النصوص باعتبارها كائنات تدب فيها الحياة ، و هي تنمو و تلد و تتكاثر وأطلقوا على ذلك ما يسمى بمصطلح

"**اللاتحديد**" أي عدم تخل الأحكام المسبقة أو قراءات أولية للنص قبل مباشرة الفعل القرائي لأنها تعمد إلى تضليل الذات القارئة ، و تشتيت حضوره مع النص.

إن تجاهل و نفي المعنى السابق هو بمثابة فراغ ، يدعو النص القارئ لملئه ، فيصبح هذا الأخير فاعلا و منتجا ، و ينشأ الوقع الجمالي بشكل أو بأخر ، و ملء الفراغات براعة و تقنية جديدة في نظرية التلقي.كما أن هناك حمولة أخرى تقيد الذات القارئة عند مباشرة فعل القراءة ن و تؤثر في حدوث الوقع الجمالي ، و يجب على القارئ التجرد منها قبل مواجهة النص و مباشرة القراءة و هو ما يطلق عليه بـ(طاقة النفي أو قدرة الانفكاك أو طاقة الإلغاء ..) أو ما اصطلحنا على تسميته بـ"قدرة الانفلات من عوائق القراءة" ، و يقصد بذلك كل ما من شأنه أن يعرقل فعل القراءة ، و تحقق الوقع الجمالي . و إن كان هناك من يرفض هذا المصطلح على اعتبار أنه يعزل الذات القارئة ، و يجعله تحت رحمة النص و مقيدة بأغلاله.

إن الوقع الجمالي لا يتحقق بعنصر واحد دون الأخر بل بتوفر كل تلك العناصر في تفاعلها الذي يبرز في شكل صراع بين الذات القارئة و تلك العناصر ؛ كما أن هناك وقع و واقع من المستحيل أن يتحقق بينهما انسجام ، و هذا إمكانية انتقاء الوقع الجمالي ، ثم إن كثيرا من النصوص عند اصطدامها مع الواقع و الذات القارئة يتولد عن فعل القراءة منها وقع جمالي متميز.كما أن مرجعية كل ذات قارئة تتدخل بشكل أو بأخر في إحداث التذوق لدى القارئ ، و لذلك لا يمكن تحديد شكل و حجم الوقع الناتج عن فعل القراءة ، كما أن إلغاء المرجعيات لا يؤدي بالضرورة دائما إلى إحداث الوقع الجمالي في ممارسة الفعل القرائي للنصوص الأدبية.

و سنحاول في هذا التطبيق أن نمارس هذه النظريات و ما أنتجته من ميكانزمات على عمل روائي: "ضياع في عرض البحر" لـ الأديب: "**حفناوي زاغز**" ، و الغاية المنشودة من وراء كل ذلك إبراز ما يمكن أن الفعل القرائي من وقع جمالي ، و مدى نجاعة ذلك في العملية القرائية.

أولا:ملخص العمل الرو ائي:

تدور أحداث القصة حول شخصية مثقفة لم يسعفها الحظ في تحقيق أهدافها داخل وطنها الأم ، فهو صحفي جد و كد للحصول على مكانته كصحفي في وسيلة إعلامية(الجريدة) ، غير أن تشبعه بقيم أخلاقية سامية في كشف الحقائق و إنارة ما أظلم ، و نقد الاعوجاج و الانحراف المتفشي في المجتمع ، و في مؤسسات البلد مسيريها ،

جعل منه شخصا يهدد مصالح الآخرين ، و غير مرغوب فيه بالنسبة للجريدة مكسب رزقه ، كونه يهدد بهذا التصرف مصالحها ، مما أدى إلى فصله بعد عدة إنذارات و تحذيرات بالتخلي عن أسلوبه في معالجة مثل هذه القضايا ، فكان أن تحطمت أحلامه أمام عينيه ، و ذلك بعد رفضه التخلي عن مبادئه و واجبه المهني في كشف الحقائق و أداء الرسالة النبيلة(الصحافة).

و من أجل الهروب من هذا الواقع المر الذي يرفض كلمة الحق ، و لا ينصر المظلوم ، فقد قرر الهجرة إلى بله أخر لعله يجد فيه ما افتقده في بلده الأم. و أثناء الرحلة ، و عبر وسيلة السفر(السفينة) ، شق طريقه حاملا آلامه و أحلامه معه ، يصف لنا أحداثا وقعت له و أخرى رآها و عاشها على ظهر السفينة مع أناس آخرين لكل واحد منهم همومه الخاصة.

ثم بدأ بعد ذلك يبوح لنا عن معاناته عند وصوله إلى البلد المقصود فرنسا ، و بالرغم من كل ما تعرض له في بلده من خيبة أمل و جفاء و ظلم و عزل من وظيفته، فغنه رفض عروضا مغرية في وظائف صحفية مرموقة كانت قد تعود عليه بالأموال الطائلة ، و تقلب حياته على عقب ، و لكن الرفض كان بسبب شروط أبت نفسه التقيد بها ، و تمثلت في نقد و كشف عيوب الوطن و إعلان العداء له و تمزيق وحدته من خلال الكتابة ، و لكن كل هذه الإغراءات لم تهز كيان هذا الصحفي الوطني الأبي الملتزم بمبادئه و العارف لحق الوطن.

اختار هذا الصحفي بمحض إرادته بديلا أخر لكسب لقمة العيش ، و هو بيع الجرائد و المجلات في ساحات المدينة ، و لما أعيته هذه المهنة قرر العودة إلى الوطن دون أن يكون بحوزته ما يكفيه من الأموال تبرر هجرته.فهذه القصة مأساة حقيقية لرجل مثقف ضائع ملتزم متمسك بأخلاق المهنة و المبادئ ، محب لوطنه رغم كل الظروف.

أولا: نظرية التلقي عند "ياوس":

و يمكن ان نوجزها في النقاط الآتية:

1. إن استهلاك النص الأدبي لا يتم من موقع عال؛ بل إن ينظر إليه من خلال الأسلوب الحواري. وذلك بغرض على اعتبار أن: النص كيان جامد لا يمكن للقارئ انتزاع المعنى منه بإرادته ، بل من خلال محاورته ، و منه فالنص ليس حكرا على قارئ محدد ، و هو بذلك قابل للانفتاح على كلذات قارئة متحلية بروح الحوار.

2 . اختيار الوقت المناسب لممارسة الفعل القرائي ، و ذلك لان النص لا يمكن أن نتعامل معه بإرياحية في كل الأوقات.

3 . الإدراك الجمالي للنص ، و هذا الأخير الذي يعتبر السيد ، و القارئ وحده القادر على كشف أسراره.

4 . طاقة الإلغاء ، و التي يقصد بها رفض و طرح كل الأفكار و الأحكام السابقة عند مباشرة الفعل القرائي لأي نص أدبي.

التطبيق:

أولا: النص قابل للانفتاح شرط تحلي الذات القارئة بالروح الحوارية:

إن محاورتنا للنص الذي بين أيدينا يجعله منفتحا ، وقابلا للفهم ، و يتم ذلك من خلل الأسئلة الآتية مثلا:

.لماذا قرر هذا الصحافي الهجرة؟هل التحلي بالمبادئ والأخلاق النبيلة كافية للتضحية فلا بمكسب الرزق الذي لم يكن سهل المنل؟ ما السر الأخر؟

. قرار الصحافي الهجرة إلى بلد أخر ، و العروض المغرية التي لقيها ، ثم رفضا لسبب تعارضها مع وطنيته ليست مبررا لعدم قبولها ؛ إذا كان ما طلب منه تعرية الواقع و الكشف عن الحقائق ، و خاصة و أن هذا ما كان يتحلى عنه في عمله الأول داخل الوطن.فهل هناك مبررات أخرى؟

. هل حقيقة يوجد من يتحلى بهذه المبادئ و الأخلاق و الوطنية ، و يقبل التضحية بمناصب مغرية في سبيلها؟

. هل الهجرة إلى بلد أخر كان قرارا سليما؟أليس الكفاح و الدفاع عن المبادئ رغم كل العواقب داخل الوطن هو مبدأ من المبادئ السامية؟

إن النص يعكس عند محاورته برحابة معاناة إنسانية مثقفة في موقع عمله كصحفي بجريدة ن و نظرا لأخلاقه السامية في البحث عن الحقيقة و تعرية الواقع لكشف ملابساته أمام المجتمع ، و محاربة الرذيلة من غش نو كذب ، و اختلاس ، وتزوير، فإن ذلك اصطدم مع مصالح أخرى لشخصيات ذات نفوذ لها مركزها وسلطتها الخاصة ، فكان أن حدث ذلك الصراع بين الحق و الباطل ، و نظرا لكونه يحارب (لا وجود لأطراف مساندة) ، حدث أن عزل و فصل عن وظيفته.

رغم مساومة مدير الجريدة له بالتخلي عن مبادئه(الكف عن أداء الأمانة) إلا أنه رفض التنازل عن قيمه و أخلاقه النبيلة ، و التي قلما نجده في الواقع المر ، و القارئ الذي له نفس مرجعيات ذلك الصحفي يتفهم مثل هذا التصرف ، و لا يتفهم في الوقت ذاته قرار المدير (مدير الجريدة) ، و قراره الهجرة إلى بلد أخر رأيناه غير حكيم لأن فيه أيضا ما يتنافى مع المبادئ لأن إذا شاع هذا التصرف في المجتمع فمن سيدافع عن الوطن ،ثم إن الهجرة هي بمثابة انهزام و تخلي عن المبادئ (الدفاع عن الحق).

الإدراك الجمالي للنص الأدبي:

في هذا العمل الروائي الذي بين أيدينا جماليات عدة يمكن استدعاؤها من خلا ل محاورة النص ، و نذكر منها ما يأتي:

.جمالية الصراع بين النبل و الخبث بين الحق و الباطل بين الخير و الشر بين حب الوطن وخيانته: تمسك الصحفي بمبادئه و أخلاقيات المهنة في التعامل مع الواقع(ممارسات غير شريفة) بغية إصلاح الفساد ، و مجابهة أصحاب النفوذ والمصالح لهذا المساعي الحميدة.

. جمالية الإصرار الذي سلكه الصحفي في رفض كل التحذيرات و الإنذارات ، و حتى الإغراءات ، و التي و لو عرضت عليه لما قبل بها.

.المشهد الرائع الأخر هو في ألئك الأشخاص الذين التقى بهم الصحفي على ظهر السفينة ، و الذين اختلفت دواعي الهجرة عندهم إلا أن ما يجمعهم واحد ، و هو البحث عن مكان أخر لزرع بذور الأحلام.

. خيبة الأمل الثانية التي لقيها الصحفي بلاد الغربة ، و جمالية الصمود و الثبات على المبادئ ...

أفق الانتظار:

. عند قراءة بدايات المعاناة التي لاقاها الصحفي . رمز القيم و الأخلاق النبيلة والمحب لوطنه . ، و تعرضه من جراء ذلك إلى الفصل و العزل كمكافأة على ذلك ، و هجرته إلى بلاد الغربة بحثا عن العمل ، و هروبا من المعاناة ليحصد أخرى ، ثم عودته يجر خيبة الأمل ،كان من المنتظر بعد كل هذا العودة بإصرار لمجابهة الواقع و الدفاع عن الحق في

جرائد أخرى ، أو حتى تغيير المهنة إن لم يجد حلا لأسلوب الدفاع عن الحق في مكان العمل الأول ، و هي كثيرة...

نظرية التلقي عند إيزر:

أولا:النص الأدبي عند إيزر: كلامه ليس قاطعا ، و ليس واضحا كل الوضوح ، و لا يؤمن التواصل مع الذات القارئة تأمينا كاملا.

إن النص الذي بين أيدينا و الذي يمثل ذلك الصراع بين الذات الإنسانية النبيلة ذات المرجعية المتخلقة بالمبادئ و ألخلاق المهنة ، المحبة لوطنها ، و الباطل و جبروته ، و لعلنا بعد التعمق في داخل بنيات النص ، نكتشف حجم الظلم و القهر و الروح الشريرة التي تحملها أطراف أخرى لا يقف أما تحقيق مصالحها شيء ، إضافة إلى تواطؤ مدير الجريدة و وقوفه إلى جانبها على حساب الأخلاق و المبادئ و حتى مصلحة الوطن ؛ذلك أن محاربة الغش و الاحتيال و التزوير لا يتحملها فرد واحد و إنما المجتمع بأسره ، فكان من واجب مدير الجريدة دعم جهود الصحفي لا فصله عن منصبه و عزله.

ثم غن هروب الصحفي بعد عزله و فصله ليس سلوكا صحيحا ينم عن رفض الممارسات اللاأخلاقية في المجتمع ، بل إن هذا التصرف يساهم في تمادي الباطل و تعزيز وجوده داخل جسد الأمة(انهزام).

في رحلة السفر التي خاضها الصحفي إلى ديار الغربية بحثا عن لقمة العيش و الصورة التي رمها هذا الأخير عن الأشخاص الذين التقى بهم على ظهر السفينة ، تبرز لنا حجم معاناة شرائح كبيرة من المجتمع الإنساني و إن اختلفت أغراضهم من الهجرة.و قد تختلف الصورة بين قارئ و أخر و لكنني أملت أن تتغير بمجرد وصول إلى بلد الهجرة ، فتفتح أمامه أبواب النجاح و الكفاح من جديد ، و حتى ,غن لم يجد ذلك في بلاد الغربة ، فكان بالإمكان أن تحتتضنة جرائد أخرى في بلاد الوطن تضع مصالح الوطن قبل مصالح الأفراد ، و هي موجودة...

إن شكل المعاناة التي صاحبت هذا الصحفي باختلاف وجوهها و درجاتها ، هي في مجملها ضياع لطاقة إنسانية أنفقت عليها الدولة أموالا طائلة لتكوينها في المدارس و المعاهد و الجامعات ، و بعد أن نضجت و قوي عودها ها هي تذبل و يحمل الضياع ليقذفها إلى ديار الغربة لتعيش ضياعا آخر. كم يشعر القارئ من ألم لما أصاب هذه الطاقة الإنسانية ذات الروح النبيلة و الغيورة على وطنها ، و في الوقت ذاته روح

الاندهاش و الانبهار من هذا المشهد رفض مساومة الوطن في الديار و خارجها ، و هذا راجع لقلة هذه المشاهد على أرض الواقع ، فهو مشهد يستحق التعاطف و التضامن.

إن جمالية هذا النص الأدبي عند قراءته تتمثل في البحث الاختلاف ، و الذي يكمن عند هذا المثقف في التمسك بالأخلاق و المبادئ النبيلة في مواجهة قوى الشر و الرذيلة و التواطؤ معها، و قد تطلب تضحيات غالية لا يمكن للكثيرين منحها ، و هي الفصل و العزل من المنصب الذي لم يكن من السهل الوصول إليه...

ثانيا: تطبيق نظرية التلقي عند "أيزر" على عمل رو ائي: "ضياع في عرض البحر" لـ "حفناوي زاغز:

إن النص الروائي الذي بين أيدينا ، لا يمكن أن يتحقق فهمنا له من خلال ظاهر كلماته السطحية ، و إلا أدى بنا ذلك إلى الانحراف عن المعنى الحقيقي ، و الصورة الحقيقية التي يرسمها هذا الكائن الحي (النص) بين ثنايا أسطره ، فالنص لا يوضح لنا كل شيء عن معاناة هذا المثقف ، و عن عمق الفكرة التي تتضمنها من بداية المعاناة في وطنه ، و إلى غاية عودته إلى عقر المعاناة مرة أخرى ، و ما هي أسرار و خلفيات هذه العودة المفاجئة و ما تحمله من دلالات؟

إن ظاهر النص يحمل لنا قيمة أخلاقية رائعة و نبيلة ، تمثلت في ذلك الصراع بين الذات الإنسانية المتشبعة بالقيم و المبادئ و الأخلاق النبيلة ، مع سلطان الحياة و إفرازاتها بروح التحدي و الإصرار.

ثم إن التعمق من جديد في أعماق النص ، و بقدرة القارئ المحترف و المتمرس على الغوص فيها بدقة ، و حنكة ، و مسؤولية ، سوف يكتشف قيما أخرى متوارية وراء بنياته ، و هي تلك الروح الانهزامية ؛ إذ كان هروب الصحفي من ساحة المعركة برهانا على عدم قدرته على إثبات وجوده ، و دفاعه عن موقفه ، فليس كل الناس في جل الأوطان ترفض صوت الحق ، بل لو أن مثقفنا دافع عن موقفه و تحلى بالإصرار ، لوجد من ينصره ، و يفتح له ذراعيه ، و هم كثيرون جدا.

كما أن الهروب من هذا الواقع المضني ، هو تشجيع لأهل الباطل على الاستمرار، و التمادي في التسلط ، و التجبر. و كما نجحوا من خلاله سوف يستمرون مع آخرين مثله ، و بذلك يكون قد ساهم في فتح الطريق أمامهم ، بل و ساعدهم في عملهم بطريقة غير مباشرة كان عليه أن يتفطن لها مسبقا.

إن الأحداث التي صاحبت المثقف منذ بداية هذه المعاناة(فصله من عمله في الجريدة) إلى ذهابه إلى ديار الغربة ، أو حتى عبر الباخرة التي حملت همومه من و إلى البلد من جديد ، يجعل القارئ يرسم لوحة المعاناة و الصراع ، عناصرها تلك الأحداث و الوقائع ضمن مخيلته ، و يلونها بألوان من الضياع ، و التمزق ، و الألم ، الذي طالما لازم المثقف و غيره من الشخصيات الأخرى ، التي احتك بها في رحلته نحو تحقيق حلمه ، سواء عبر الباخرة أو في ديار الغربة ، و انتهاء بالعودة إلى الوطن الأم .

إن شكل المعاناة التي صاحبت هذا الصحفي باختلاف وجوهها و درجاتها ، فإنها كانت في مجملها ضياع لطاقة إنسانية ، أنفقت عليها أموال طائلة ، طيلة مراحل تكوينها في المدارس و المعاهد و الجامعات ، و بعد أن نضجت و اشتد عودها ، ها هي تذبل ، و يحملها بحر الضياع ، ليقذفها إلى ديار الغربة لتعيش ضياعا أخر ، و كم يشعر المرء بالألم لما أصاب هذه الطاقة الإنسانية ، و كم يفرح في نفس الوقت عندما يعلم بقرار هذا المثقف العودة أخيرا بين أحضان الوطن ، فالمشهد مثير جدا ، يجعل القارئ يأمل من خلاله أن يحقق هذا الصحفي ما عجز عنه من قبل بكل قوة ، و حزم ، و عزم ، و يتمنى القارئ أن يجد هذه المرة من يأخذ بيده في رسم طريقه الذي اختاره منذ البداية.

الخاتمة:

إن القراءة الأدبية كانت و ستبقى قراءة تذوقية انطباعية بالدرجة الأولى ، كما أن الحكم على جمالية النص المقروء حق طبيعي لكل ذو سليم تتموضع من ورائه مرجعيات سليمة ، و لا يمكن لقوانين العلم مهما حاولت . أن تجعل ما هو غير جميل جميلا.

إن دور القارئ جد مهم في اكتشاف جماليات النصوص ، و النص ملئ بمواقع الجمال ، منها ماهو قابع على السطح معلنا قابليته للعطاء. و كلما غاص القارئ المتمرس المتدرب إلى أعماقه انبهر بما تحمله من كنوز ، ليخرج منه و قد تحققت له المتعة و الرضى ليعهد له اللقاء مرات و مرات.

كثير من القراء لا يحسنون التعامل مع النصوص ، لذلك يجدون محاولاتهم لفهم مضامينها و البحث عن المتعة فيها قد باءت بالفشل لسبب بسيط أنه ليس بإمكان أي قارئ الاستئناس و إدراك الجمال الموجود بهذه النصوص دون الإلمام بالقواعد و الضوابط التي تؤطر العملية التواصلية ، و هو جاءت به جمالية التلقي.

النصوص الأدبية ليست كلها قادرة على إنتاج الجمال بكيفيات و أشكال متساوية ، فبعضها يكمن الجمال ي ألفاظها و تراكيبها ، و بعضها يكمن في عمق بنياتها ، و بعضها يحمل الجمال لا في السطح و لا في العمق ، و تلك النصوص لا تركز عليها جمالية التلقي.

إن القارئ وحده الكفيل بالحكم على النص الأدبي ، و ذلك بحسب ما يملكه من ضوابط و قواعد و تجارب، و زاد معرفي و دراية بتلك النظريات التي قدمت الآليات و الميكانزمات الجديرة بالمتابعة و الدراسة لإنجاح عملية القراءة ، و تحقيق الفائدة من النصوص ، و سيبقى المجال مفتوحا أمام الباحثين و الدارسين لتطوير هذه النظريات لتكون أكثر فاعلية.

الهوامش:

1. حبيب مونسي. فعل القراءة(النشأة و التحول). دار الغرب. ط1. 2001/2002. الصفحة الأولى.
2. عبد الله محمد الغذامي. الموقف من الحداثة و وسائل أخرى. دار الميلاد. ط1. جدة. 1987. ص107.
3. عبد الله محمد الغذامي. الموقف من الحداثة و وسائل أخرى. دار الميلاد. ط1. جدة .1987 م. ص107.
4. المرجع نفسه. ص 110.
5. محمد عبد الواسع. نظرية التلقي(أصول و تطبيقات). أنترنت. ص4/3.

http://www.albayan.ae/five-senses

6. محمد عبد الواسع. المرجع السابق. ص 5/4.
7. المرجع نفسه. ص 5/4.
8. عبد الناصر محمد حسن. نظرية التلقي بين" ياوس" و" إيزر". جامعة عين شمس. دار النهضة العربية. القاهرة. 2002 م. ص19/18
9. المرجع نفسه. ص8/7
10. عبد الناصر محمد حسن. المرجع السابق. ص43.

قائمة المصادر و المراجع:

1. القرآن الكريم (رواية ورش)
2. حبيب مونسي. فعل القراءة(النشأة و التحول). دار الغرب. ط1. 2001/2002
3. عبد الله محمد الغذامي. الموقف من الحداثة و وسائل أخرى. دار الميلاد. ط1. جدة. 1987

4 .عبد الناصر محمد حسن.نظرية التلقي بين" ياوس" و" إيزر".جامعة عين شمس.دار النهضة العربية .القاهرة.2002 م

5.محمد عبد الواسع.نظرية التلقي(أصول و تطبيقات).إنترنت.

http://www.albayan.ae/five-senses